**الجامعة اللبنانية**

**كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية**

**الفرع الثاني**

**------**

**الحوار المسيحي – الاسلامي**

**مداخلة عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية**

**الدكتور كميل حبيب**

**15 شباط 2017**

**مقدمة:**

لم يحظ وطن في العالم شرف التمايز عن غيره من الاوطان، ولم تترتب على ابناء بلد تحمل المسؤولية الكبرى، كما حظي لبنان وكما ترتب على اللبنانيين، حينما اعلن قداسة الحبر الاعظم يوحنا بولس الثاني: **"لبنان وطن الرسالة"**. فتعاقد اللبنانيين، مسيحيين ومسلمين، على العيش معاً ساهم في منع قيام نظام استبدادي، كما ان التنوّع الاجتماعي قد نجح في تدعيم الحريات. فالحرية التي تجذرت في فكر المواطن اللبناني سمحت له ان يكون اكثر معرفة وانفتاحاً وقدرة على ابتداع ما هو غير ممكن في بلدان أخرى، قريبة ام بعيدة.

ومن ركائز التفاعل الانساني بين المسلمين والمسيحيين في لبنان انه قائم على الحوار الذي أسهم في زيادة الاقتناع عند الجميع، انه لا يمكن لطائفة ان تعيش لوحدها في انعزال وتقوقع. وكما اثبتت التجارب العبثية ان الاقتتال يكون اكثر شراسة عندما يدور في دائرة الطائفة الواحدة. هذا يعني ان التنوّع هو مصدر غنى للبنان، وبأن الاعتراف به هو الطريق الى الوحدة، اذا ما احسنت ادارته. ولا حاجة للتأكيد ان الخلافات الطائفية لا تمت بصلة الى الحوار في النطاق المسيحي- الاسلامي. ان الحوار، يقول العلامة محمد حسين فضل الله، **"ينطلق من احساسنا بانسانيتنا... وأن يتعصب الانسان لفكره يعني ان يلغي حرية انسانيته في التفكير بالطريقة الاخرى".** (امراء وقبائل، 189-190).

وفي مجتمع، كالاجتماع اللبناني، حيث لا يستطيع احد أن يلغي الآخر، علينا ان نتحاور، المهم الاّ يغلب الصمت علينا، ولا حاجة للإقرار ان الاديان تحمل في دعوتها بذور الحوار، وليس مفترضاً فيها ان نتصارع، بل الالتقاء على القواسم المشتركة، وأهم هذه القواسم: وحدانية الله ووحدة الانسانية المعذبة. وهنا نجد العنوان الكبير في اشراقة الروح التي تعيد للحوار الديني حيويته وحركيته وصدقيته في نفوس الناس. فالمسيحية والاسلام تتلاقيان في صفاء توقهما الروحي الى اسعاد الانسان وتحريره من سلاسل القهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي. ولأن الله هو هو امس واليوم وغداً، فلا بأس من تأويل النص لمصلحة العقل كي يتسنى لنا اخضاع السياسات العامة للقيم الروحية بدلاً من اخضاعها للحسابات المادية. هذا هو فهمي للاهوت التحرير وهذا ما يعمل جاهداً الاسلام على تحقيقه.

الحياة اللبنانية هي حركة الحوار فينا لمعالجة قضايانا المشتركة ولمعالجة قضايا الانسان الكبرى. وهنا لا بدّ من الاشارة الى الدور الذي تلعبه الجامعة في صناعة عقل الأمة. والعقلانية تقر بوجود اختلاف بين المنطقين اللاهوتيين في المسيحية والاسلام بعيداً عن التبسيط والمجاملة، وبعيداً عن التسعير والمواجهة، بل على قاعدة الاقرار بهذا الاختلاف ليصبح الحوار حوال التقابس، وما في ذلك من مضاعفة لصدقية الفكر الديني. إن اسوأ العقول هي تلك العقول غير المؤمنة، والتي بطبيعتها تحول الاختلاف الى خلاف.

**في القواسم المشتركة:**

كل هذه الحقائق بمجملها تمكننا من ان نطرح الكلمة السواء ونكتشف القواسم المشتركة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، حيث يجمعنا سلم من القيم الانسانية التي تحركنا في مناخ لا يطغى فيه انسان على انسان، والذي من شأنه ان يشكّل اطار الحياة الكريمة للجميع، ويحقق العدالة بين الجميع، ويبشّر بالسلام للجميع.

وأودّ هنا، على سبيل التدليل وليس الحصر، أن أسلّط الضوء على ثلاثة عناوين جامعة مشتركة الى حدّ الرسولية بين المسيحية والاسلام، مع الاشارة الى ما يلي:

1. ان المواضيع اللاهوتية لا تحمل المدلول عينه في المسيحية والاسلام.
2. إن التطور الفكري الذي اختبرته المسيحية هو غير التجربة الفكرية التي مرّ بها الاسلام.

أما المواضيع المشتركة الثلاثة فهي:

**أولاً:، وحدانية الله:**

* المسيحية والاسلام تؤمنان بالآله الواحد، وتتفقان على الاقرار بأسبقية المبادرة الآلهية في ملاقاة الانسان، وتجمعان على مضمون الوحي الآلهي بمعزل عن كيفية تجلّيه وسبل اختباره، ناهجاً سبل الخلاص للإنسانية جمعاء.
* المسيحية والاسلام تتفقان على اعتبار موقف الانسان موقف انفتاح على الخالق، كما تتفقان على مبدأ الشراكة بين الله والانسان.
* المسيحية والاسلام تجمعان على اصل الانسان ليس في ذاته بل في مشيئة الله الذي اراد للإنسان ان يأتي الى الوجود وأن يحيا حياة الكرامة والسعادة.

**ثانياُ: الرحمة الآلهية:**

إن الخلق بعينه هو آية من آيات الرحمة الآلهية. فإذا كانت الرحمة في أساس عمل الخلق، فالخليقة مهيأة بالفطرة لاختبار رحمة الله في صلب كيانها. فالرحمة هي هي: رحمة الاخلأ والتجلّي ورحمة التعالي والتنازل؛ هي هي، ترحم الخاطىء، وتشفق على الضعيف، وتحن على المنبوذ، وتعطف على الفقير والمعوز.

* المسيحية: "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون"؛ أي ان الله يرحمهم. هذه التطويبة التي نقرأها مع سائر التطويبات في بداية العظة على الجبل، تحدثنا عن فضيلة الرحمة التي تقف بجانب الوداعة والسلام.
* الاسلام: وصف القرآن الله في أكثر آيات الرحمة بأنه **"الرحمن الرحيم".** وقد افتتح آياته جميعها بذكر رحمة الله: **"باسم الله الرحمن الرحيم".** فوصف الله بالرحمن يدّل على ان من افعال الله ان يرحم ويديم رحمته على عباده.

**ثالثاً، العدل:**

في كل مجتمع ثلاثة عناصر أساسية: عنصر شخصي قوامه حرية الانسان، وعنصر موضوعي قوامه القانون، وعنصر مثالي هو العدل الذي يقوم بدور الوسيط بين الحرية والقانون.

* المسيحية: العدل هو من الواجبات التي يعتبرها السيّد المسيح "**أثقل ما في الناموس".** (متى 23:23) إن العدل مرتبط بصميم وجود الانسان داخل المجتمع. وقد حدّد الفكر المسيحي اللاهوتي العدل بقوله: **"انه فضيلة يعطى بها كل انسان حقه بإرادة ثابتة ودائمة".** ولأن كل انسان هو غاية في ذاته، لذا لا يجوز ان يكون بعض الناس مجرد وسيلة لإكتمال البعض الآخر. كما لا يجوز بأن يضحى بحرية بعض الافراد في سبيل تعزيز حرية غيرهم.

الفكر المسيحي يؤكّد ان الناس كلهم اشخاص خلقهم الله على صورته ومثاله. فهم اذن بسبب صورة الله التي فيهم متساوون في الحقوق الاساسية العائدة للشخص البشري. وتلك الحقوق الاساسية لا يمكن ان تخضع لأية مساومة، والعدل هو الفضيلة التي تضمن تلك الحقوق الأساسية لجميع الناس.

* الاسلام: والاسلام عندما يدعو الى العدل فإنه بذلك يدعو في الوقت نفسه الى حرية الانسان وكرامته وتأكيد الحقوق الانسانية العامة. فالكفاح من اجل رفع الظلم واقرار العدل، وبالتالي حماية الكرامة الانسانية يعد واجباً انسانياً وواجباً دينياً في الوقت نفسه، كما يؤخذ ذلك من الآية القرآنية التي لا تحتمل التأويل: **"إن الله يأمر بالعدل**". (النحل 6/:90) وطبقاً لتعاليم القرآن الكريم يتجلّى العدل في الرحمة الآلهية التي تعم العالم كلّه بما فيه ومن فيه: "**ان رحمة الله وسعت كل شيء**". (الاعراف 7:156) تلك الرحمة التي لا تفرّق بين الناس الذين هم جميعاً خلق الله يحكم بينهم بالعدل ويشملهم برحمته.

**الخاتمة:**

المسيحيون والمسلمون العرب يعيشون اليوم اياماً صعبة. فهناك حملة صهيونية- تكفيرية لاقتلاع المسيحيين من ارضهم. كما ان نفس الحملة تحاول تشويه الاسلام الحقيقي والقضاء على تعاليمه السماوية. فلا المسيحيون العرب أتوا الى هنا على حاملة طائرات غربية، ولا المسلمون ينسون او يتناسون وقفة المسيحيين الى جانبهم ضد حملة الفرنجة التي سميت خطأ "**بالحملات الصليبية".** وفي الامس القريب، عندما منعت اسرائيل الآذان في المساجد في القدس، فتحت الكنائس ابوابها ليكبّر القساوسة والرهبان **"لا اله الا الله"،** وعن حق انهم لا يشركون. وهذا لم يحصل منذ ايام عمر بن الخطاب؛ اذا استثنينا نضال المطران ايلاريون كبوجي، ووقفة الرئيس كميل شمعون، فتى العروبة الاعز في الأمم المتحدة دفاعاً عن القضية الفلسطينية، وموقف الرئيس سليمان فرنيجة عام 1974 عندما خاطب العالم بإسم الآب والابن والعرب، ووقفة الرئيس فارس الخوري في الجامع الاموي رافضاً الحماية الفرنسية للمسيحيين,

إن القلق على المصير الذي نستشعره هذه الأيام من خلال الحصار الذي يفرضه الارهابيون من صهاينة وتكفيريين يفرض علينا احتضان بعضنا بعضاً. فتعالوا نصنع من القلق طمأنينة، ومن الخوف أمناً، ومن الاهتزاز صلابة.

**الله محبة..... وان اكرمكم عند الله اتقاكم**